

المجلد 03 Vol 03 العدد 02 Num 02	حفريات المعرفة Hafriyat Al- marefa	Issn : 2830-912X 2023
--	---	-------------------------------------

الرواية العربية "ديوان العرب المعاصر" في معترك فضاء العالمية

The Arabic Novel "The Contemporary Diwan of the Arabs" in the Arena of the Global Sphere

محمد لمين فارسي.

Mohamed Lamine Farsi

m.farsi@ens-lagh.dz

المدرسة العليا للأساتذة - طالب عبد الرحمان - الأغواط - الجزائر

Higher Normal School - Taleb Abderrahmane - Laghouat - Algeria

الملخص:

إنّ ما نتيغاً هذه الورقة البحثية بلوغه وفق القراءة التحليلية هو الوقوف على مفهوم (الأدب العالمي) كمصطلح يتّسم بالغموض، وليس له تعريف واضح ومحدّد يحظى بإجماع الباحثين، فنذ أن أعلن الشاعر الألماني "غوته" عن مصطلح العالمية عام (1827) انشطرت المواقف بين مؤيّد ومعارض. لهذا سعت الرواية العربيّة ولا تزال لتُحقّق مكانة لها داخل ما أصبح يُعرف بالأدب العالمي إلّا أنّ هذا السّير قد تعرّض بسبب وجود عقبات كثيرة تعرقه.

من هنا تأتي أهمية هذه المداخلة لمناقشة ما مدى تحقيق الرواية العربية الحضور في الفضاء العالمي، عبر إثارة جملة من التساؤلات: ما مفهوم العالمية والأدب العالمي؟ وماهي معايير العالمية؟ وهل حققت الرواية العربية باعتبارها أداة من أدوات المقاومة الثقافية تواجدتها وحضورها بكل قوة لمواجهة الاستلاب الثقافي؟ وهل يعدّ الروائي "نجيب محفوظ" واحداً من القلائل الذين سجلوا أسماءهم ضمن قائمة العالمية؟

الكلمات المفتاحية: الأدب العالمي - الرواية العربية - المقاومة الثقافية.

Abstract:

This paper aims at achieving, according to the analytical reading, is to address the concept of "world literature" as a term that is characterized by ambiguity, lacking a clear and precise definition that enjoys consensus among researchers. Since the German poet "Goethe" introduced the term "universality" in 1827, positions have been divided between supporters and opponents. For this reason, the Arabic novel has sought, and continues to seek, to secure its place within what is now known as world literature. However, this endeavor has encountered numerous obstacles that hinder its progress.

Hence, the importance of this contribution lies in discussing the extent to which the Arabic novel has established its presence in the global sphere. It raises a series of questions: What is the concept of universality and world literature? What are the criteria for achieving universality? Has the Arabic novel, as a tool for cultural resistance, managed to assert

its presence and stand firmly against cultural alienation? And is the novelist "Naguib Mahfouz" considered one of the few who have secured their names on the list of global figures?

Keywords: World literature – Arabic novel – Cultural resistance.

مقدمة:

يُعتبر القرن العشرون وما أعقبه فضاءً جديداً يتسم بمظاهر الحداثة والتحول والتغيير، حيث لم يعد ذلك العصر التقليدي الذي طغى عليه الثبات بسبب الترسبات التي تحجرت في ذهنية الإنسان العربي ونظرته الأحادية المنغلقة.....ذلك العصر قد ولّى وحلّ محله عصر يُشكل إفرازا جديداً ومتناسالاً للتحوّلات المتسارعة في الزّمان والمكان وحتى الإنسان، ومن ثمّ المجتمع في نظامه وثقافته وحركيته وسكونه وقضاياه الفكرية والسياسية والإيديولوجية.

من هنا كانت الرواية هي الأكثر قدرة على الإلمام بالمجتمع ومواكبة مُستجدّاته، وتحريّ رؤى العالم وآفاقه، أين تُقدّم تصوّراً أشبه بالمعالجة وفق خطة فنية تُمثّل قُمة العملية الإبداعية. ولما كانت الرواية تبدأ من حيث انتهت إليه الحكاية، لهذا فإنّ سؤال الرواية العربية هو في الآن نفسه سؤال المجتمع في حركيته وسكونه وتفاعله وتحوّلاته وهدوئه وصخبه، لأنّ الرواية ما هي إلّا صورة له. ومساءلتها هي مساءلته نظراً للعلاقة الوثيقة التي تربطهما....فالمجتمع هو بيت قصيد الرواية ولحن نشيدها ونبعها الذي لا ينضب، كما نعتبره مضختها الحرارية ومجالها الحيوي الذي ينفث فيها دما حارّاً يُحيّ أوردة حياتها، ويجعلها حيّة نابضة.

ضمن هذا الإطار الناظم تزخر الرواية بمخافها السردية المتنوّعة حكايا وتنبش في تلك الآخاديد السريّة للوقائع والأشياء المعتمدة. ولا ننكر أنّ القرن الواحد والعشرين هو عصر المعلومة، عصر

التواصل الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، حيث أصبحت فضاءات التفاعل الثقافي في ظلّ العولمة الذي فرضته طبيعة العصر.

مما جعل الرواية تتحوّل إلى وسيلة أكثر إنصاتاً لإيقاعات ونوابض حياتنا، كما نجدتها أكثر سلاسة وشفافية على مستوى البناء والأسلوب واللغة وأصبحت حقيقة « هي سيّدة السرد القصصي باعتبارها ملحمة العصر حسب هيجل، وديوان العرب المعاصر حسب حنا مينة ». من هنا يمكن أن نقف عند:

إشكالية البحث:

إنّ الرواية باعتبارها مؤسسة ثقافية تكشف لنا عن قدرة عجيبة على صناعة الوعي لدى قرائها، وعلى تحقيق الكفاية المعرفية، إضافة إلى كونها أهمّ أدوات المقاومة الثقافية والتغيير المجتمعي، ومن ثمّ تحقيق الوعي بالذات والانتصار لقضايا المسحوقين، ومرافقة الفئات الأقلّوية في صراعها المرير مع كلّ قوى البشر في مجتمعاتها وخارجها. لهذا أردنا أن نناقش قضية العالمية والأدب العالمي، ومكانة الرواية العربيّة داخل هذا الزخم ومحاولة البحث عن تموقع داخل هذه المنظومة الجديدة، وحتى نربط السابق باللاحق نطرح السؤال التالي: ما مفهوم العالمية؟ وما هو الأدب العالمي؟

أوال: مفهوم العالمية والأدب العالمي:

1. مفهوم العالمية:

العالمية مفهوم تعدّدت دلالاته وصوره عبر الثقافات على مرّ الأزمنة والعصور ورغم أنّه ارتبط باسم الشاعر الألماني (غوته) الذي روج له في نهاية القرن التاسع عشر إلا أنّ المفهوم أسبق منه، حيث يرجع إلى (أرسطو) الذي يقصد به « تصوير الشّعور للإنسان كما يُمكن أن يكون أو لا بدّ أن يكون لا كما هو كائن بالفعل »، أمّا العالمية فهي العنصر الحاضر فهي « حالة من الانتشار

والأهمية يكتسبها الأدب والنتاج الثقافي عموما عندما يخرج عن حدوده الإقليمية الوطنية (المحلية) ويصبح معروفا ومقروءا في مناطق أخرى من العالم».

يعود الفضل في بلورة مصطلح العالمية للشاعر الألماني (غوته) كما ذكرنا ذلك سلفا من خلال نبؤته الشهيرة حول عالمية الأدب، حينما بشر بظهور أدب عالمي تشارك كل الأمم في صياغته وذلك حين قال: « إن كلمة أدب قومي لا تعني شيئا كبيرا اليوم، إننا نسير نحو عصر الأدب العالمي، ويجب على كل شخص أن يسهم في تسريع قدوم هذا العصر». وهنا نقف على كل من:

1.1. مفهوم العالمية في الثقافة الغربية المعاصرة:

لقد لقي مصطلح العالمية رواجاً كبيراً في أوساط الأوروبيين منذ أن أعلن عنه (غوته)، لكن الملاحظ أن الغرب قد كرّس « دلالة العالمية بوصفها لصيق مما يصدر عنه أو يتصل به من أدب، ففي الثقافة الغربية يشيع استخدام عبارة أدب عالمي للإشارة إلى الأدب أو الآداب الغربية، سواء وردت تلك الإشارة في النقد الأدبي أو في عناوين كثير من المختارات الأدبية، فنقرأ مثلاً روائع العالم أو مختارات من الأدب العالمي أو المسرح العالمي... الخ، ثم نتبين أن العالمية هنا تشير إلى الغرب تحديداً».

2.1. مفهوم العالمية في الثقافة العربية المعاصرة:

يشير إلى تبادل الثقافات والتقاليد بين مختلف الأماكن في العالم، ويمكن فهم العالمية على أنها حركة لتكيف التراث العربي مع التحديات العالمية، ومحاولة إيجاد أرضية مشتركة بين الثقافات المختلفة، وهذه وجهة نظرنا.

وهناك من يرى أنه إذا رجعنا إلى ثقافتنا العربية، فلا نكاد نجد فهما يختلف عن الفهم الغربي لمصطلح العالمية من حيث ربط هذا المصطلح بال طرح الغربي « فالأدب العالمي في العالم العربي هو بالدرجة الأولى الأدب الغربي، والأدب العالمي هو غالبا الأديب الذي اعترف به الغرب

وينسحب ذلك على المذاهب النقدية والأدبية (....) فنجد نتيجة لذلك من يرى أنّ المذاهب الأدبية والنقدية الغربية مذاهب عالمية وصالحة للنشر في كلّ مكان».

مما سبق يتّضح أنّ كلا الرّؤيتين -غربية أو عربية- تربطان مفهوم العالمية بأصل غربي، إذ إنّ هناك مبررات مرتبطة بقيم غربية مثل التقدّم والحرية تدعم الاعتقاد بعالمية الغرب، وهذا ما يؤكّد المركزية الغربية ويزيد من هيمنتها على غيرها من الثقافات الأخرى. وانطلاقاً من هذا الأساس نطرح السؤال التالي: ماهي معايير العالمية؟

ثانياً: معايير العالمية:

قد قسّم (رينيه اتبامبل) معايير العالمية إلى قسمين « فمن جهة هناك التوسّع الكمي تداول عالمي، تمثّل عالمي، تلقّي عالمي...الخ ومن جهة أخرى هناك توسّع نوعي مستوى قيمة، معايير على الصعيد العالمي»، أمّا المقارنون العرب ويتقدّمهم "حسام الخطيب" فقد وضعوا « جملة من المعايير يحتكمون إليها لتصنيف الأدب وموقعه في هرم العالمية، وتعودوا أن يقسّموا تلك المعايير إلى معايير أدبية ومعايير غير أدبية، أمّا الأدبية فهي الجودة الفنية، والترجمة، والنشر والمقروئية أو التلقّي النقدي كما يسمّيه حسام الخطيب، وأمّا الثانية فهي قوّة الدولة وهيمنتها والحظّ...».

ثالثاً: مصطلح العالمية حسب رؤية النقد الثقافي:

1.3. مصطلحات عامّة:

مع ظهور البنيوية وسيطرتها على الدّراسات النقدية، وتحليل النّصوص الأدبية، ثمّ إقصاء المؤلّف أو موته على حدّ تعبير "رولان بارت" وتجربته وعلاقتها بالنّص، وأصبحت اللّغة كنظام من العلاقات هي من يتكلّم داخل النّص، وقد أتاح ظهور ما بعد الحداثة في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات، المجال واسعاً لبروز الوعي بمكان المظاهر الإنسانية، ودور الثقافة وعلاقتها بالإنتاج الأدبي والثقافي عموماً.

2.3. النقد الثقافي وحقل الدراسات الثقافية:

يرجع الفضل لـ "أنطونيو غرامشي" في إبراز دور الثقافة في المجتمعات المعاصرة وأصبحت بذلك الثقافة محور اهتمام الدراسات الأدبية، وقد أدى ذلك إلى ظهور "النقد الثقافي"، حيث « استقرت في هذه الدراسات فكرة أن الثقافة كبنية فكرية وأيديولوجية هي ما يتكلم في النص الأدبي، وعلى الناقد الثقافي أن يعمل على كشف تلك البنية التي كان النص نتيجة من نتائجها، وقد نظر في خلال كل هذا إلى الثقافة في معناها السلبي أي الهيمني والتسلطي وهو مفهوم كان مهمل من قبل ».

لتخرج الدراسات الكولونيالية وما بعد الكولونيالية من صلب الأدب المقارن وهي دراسات غير تخصصية، فهي موجودة في الحقل السياسي والاجتماعي والفلسفي والأدبي والنقدي، وتندرج ضمن دراسات ما بعد الحداثة، وما بعد البنيوية، حيث تم الخروج عن النص وتجاوز جماليات الخطاب، ووضع كل الخطابات (سياسية، أدبية، اجتماعية، دينية) في مي ازن النقد لأهداف عدة إلا الهدف الجمالي. وهنا نتساءل: كيف ينظر النقاد 'ما بعد الكولونيالية' إلى مفهوم الأدب العالمي؟

1.3.2. رؤية النقاد 'ما بعد الكولونيالية' إلى الأدب العالمي:

نجد في هذه الدراسات التي ظهرت في الغرب وإن قادها نقاد غير غربيين أصلاً نقداً للتحيزات الكامنة في مفهوم العالمية، كما في أعمال المفكر الفلسطيني "إدوارد سعيد"، اميلكار كابرال وجاياتري سبيفاك وغيرهم، أين حاول هذا الموقف النقدي « كشف التحيزات العالمية في الاتجاهين المتعاكسين: اتجاه الآداب الغربية في تمركزها وكيفية تناولها لما عدا الغرب من أنحاء العالم، واتجاه الآداب غير الغربية وما تحمله من إشكالات في لرؤيتها لنفسها وللعالم، خاصة الغرب الذي استعمر الكثير من أجزاء العالم والذي ما يزال يؤثر في تلك الأجزاء ».

وفي هذا الصدد يستوقفنا موقف الكاتب النيجيري "تشنوا أنشيبي" الذي يسائل موقف بعض النقاد الغربيين الذين يُثنون على بعض روايات الأدباء الأفارقة لأنها تجاوزت محليتها إلى نوع من العالمية التي تجعل أحداثها قابلة للحدوث في الأجزاء الجنوبية من الولايات المتحدة أو الأقاليم الجنوبية من فرنسا وإيطاليا حيث يقول: « إنَّ هذه العالمية لا يمكن أن تؤدي بأحد من النقاد الأمريكيين لتأمل حدوثها في رواية أمريكية تغيّر أسماء شخصها من أسماء أمريكية إلى أسماء إفريقية، بال طبع لن يخطر ببالهم، لن يخطر ببالهم أن يشكوا في عالمية أدبهم، فبطبيعة الأشياء يصدر الكاتب الغربي مباشرة عن العالمية وعلى الآخرين أن يكافؤوا لتحقيقها ». وهنا نتساءل: ما هو هاجس الرواية العربية؟ وكيف لها أن تنهل من المجتمع حتى يُشكل مادة لها؟

4. هاجس الرواية وعوالمها:

لقد أصبح عصر المعلومة يُمثّل مرحلة جديدة يُحقّق فيها الأدب عامّة والرواية بشكل خاص ما يجعلها أكثر قوّة وتنوّعا، لأنّ المعلومة في حدّ ذاتها هي هاجس الرواية ونواتها الدلالية والحكاية أين يكون السرد فيها موازيا لأحوال طقوسها الداخلية، ولأنّها كذلك ستجد ما يُغيرها ويثيرها جرّاء هذا الزخم المعرفي المتواصل الذي يُغذيها ويمدّها بتلك الشحنة الدلالية المنتقاة من صميم البيئة المحلية التي يتنفس النصّ الروائي هواءها.

والرواية بهذه ال طريقة ستلد من حاضن ثقافي متعدّد ومتنوّعا بالخصائص الوراثية المتشكّلة من ألفاظ عدّة ثري المولود الجديد بجينات جديدة لا عهد له بها من قبل. إضافة إلى خصائصه البيولوجية المتجدّدة تبعا للقاعدة العلمية المعروفة.

4.1. قراءة سريعة في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" وإثارة قضايا ثقافية:

إنّ رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) للروائي السوداني "الطيب صالح" والتي بقيت لغزا في تركيبها وبنائها وشحنها النارية العنيفة من خلال شخصية 'مصطفى سعيد' حيث كانت هذه الرواية تمثّل قمة الصراع بين "الانا" و"الآخر" بين شاطئ الحداثة وشاطئ القدم، صراع شمال/جنوب، ممّا

دفع بشخصية "مصطفى سعيد" والتي هي من صنع بريطانيا تكويننا وثقافة ولعة أن يتنازل عن كل شيء بعد قتل زوجاته والانتقام منهن ثم العودة إلى أرض الوطن، إلى قرية في جنوب (السودان)، وتبقى العبرة في النهاية في النص المشحون بالدلالات الموحية والرموز المتشابكة التي تعبر عن تلك الثنائية: (شرق/غرب) طمأ وارتواء، (جنوب/شمال) غنى وفقر، أين تنتهي الرواية بطلب النجدة، ولهذا « فالهوية الذاتية المنخرطة في الهوية الخيالية مهددة على الدوام بفعل تغير الزمن والاشياء والحدود، خصوصا إذا لم يعد الواقع يستجيب للصورة التي تحملها عن نفسها ».

لهذا فإن المتأمل لما كتبه "الطيب صالح" في هذه الرواية يلمس التفاعل الثقافي الذي أهل الكاتب أن يقتنص مادته الحكائية ويشغلها لغة ورؤية وبناء، وأن يعتمر الذاكرة ويستقطر ما فيها من ثقافة وحضارة وفكر ورؤى حيث استطاع أن ينبش في الأراشيف والأدراج الماضية، ويخرجها من ذلك الشحوب اللغوي والضمور الحسي للتراث إلى رواية حية نابضة بالحياة... فكان للرواية صخبها الحكائي المثير والجديد على الرواية العربية.

تتعدد الصور على هذا النحو، ورغم وصول هذه الشخصية إلى مرمى الهدف أي الطرف الآخر في الشمال إلا أن الهوية تتسع والمسافة تكبر فينقلب الأمر إلى المجابهة والصراع وتكسر تلك الرغبة الجامحة المعبر عنها بلسان "مصطفى سعيد" حين قال: «...أنا جنوب يحن إلى الشمال...».

ليعود خالي الوفاض فارغ اليدين إلا من بعض الكتب والأدوات إلى أرض "الجد أحمد" قائلا: « كشجيرات السيل في صحاري السودان سمكة اللحي حادة الأشواك تقهر الموت لأنها لا تسرف في الحياة ». وإذا كان هذا الروائي قد أثار تلك الهوة السحيقة بين الانا/الآخر من خلال شخصياته النارية العنيفة التي لا تخد ثأرها إلا بالنار والدمار؛ فإن السبب يرجع إلى ذلك الجدل التاريخي المبطن في لا وعي الإنسان وهذا ما جعل بطل الرواية ومحورها المتمثل في شخصية "مصطفى سعيد" يتحول إلى فارس من فرسان العرب يحمل قوسه ونبله ورمحه ويفتح القلاع ويصارع الأعداء، فحضارة أوربا المسيحية لم تلبث طبيعة البدوي التي ألفت الخشونة والقسوة. وهنا نتساءل: هل شخصيات هذه الرواية كان ينقصها الحوار الذي يؤدي إلى التفاهم؟

حتما ستكون الإجابة بنعم بدليل سلوك البطل الذي يعتمد على الكذب في كل شيء ليوقع بفريسته، فهذا هو يُصرّح قائلا: «...كنت أكذب حتى أدخل المرأة إلى فراشي، ورغم إدراكي أنني أكذب فقد كنت أحس أنني بطريقة ما أعني ما أقول...». ثم إذا كان "الطيب صالح" قد كتب روايته في وقت متقدّم من هذا الاحتكاك بين الشرق والغرب الذي هو أقرب إلى الاكتشاف والذهول من هذا الآخر المختلف، فإنّ جسور التقارب قد قلّت المسافة بين (الانا/ الآخر) فأصبح التعايش أمرا ضروريا قائم على الحوار الذي يُؤدّي إلى التفاهم وبالتالي معرفة الآخر والتعاون معه. إلّا أنّ الحوار لا يعني الجدل أو إلغاء الوجود بقدر ما يعني على الأقل احترام وجهة النظر المختلفة وهويته المغايرة لأنّ «الاختلاف بين البشر لا يؤدي حتما إلى العداوة».

وهنا يتبادر إلى الذهن هذه التساؤلات: لماذا لم ينل جائزة "نوبل" أديب عربي آخر غير "نجيب محفوظ"، رغم أنّ الساحة الثقافية والأدبية العربية تشهد زحاما غير مسبوق في الإبداع والإنتاج الروائي؟ وماهي أهمّ العوائق والصّعوبات التي تواجه الرواية العربية للتموقع داخل قطب العالمية؟

5. إمكانات حضور الرواية العربية في الفضاء العالمي:

بداية تجدر الإشارة إلى جهود الروائي المصري "نجيب محفوظ" في عملية تطوير الشكل الروائي، وإلى مكانته العظيمة في المشهد الإبداعي؛ إذ من الصّعب الحديث عن كيفية تطوّر الرواية العربية دون الوقوف عند إنجازاته، حيث تكمن أهميّة ذلك في أنّه استطاع أن يجعل الكتابة الروائية المجتلبة من تاريخ الأمم الأخرى نوعا أصيلا، فتحوّلت من ضيف إلى واحد من سكان البيت الأصلاء في سلسلة الأنواع الأدبية المعاصرة، حيث يتحقّق في إنجازهِ شرطان: يتعلّق الأوّل بكتابة تاريخ المجتمع المصري في القرن العشرين على هيئة سرد روائي حيث تعلق شخصياته بالذاكرة. ويتّصل الشرط الثاني بالأسلوب، بالشكل الروائي الذي حقّق على يده نضجا.

لقد وضع هذا الكاتب الرواية العربية في أفق الكتابة الروائية العالمية، فكان أن نال جائزة "نوبل" للآداب سنة (1988م) كأول عربي يحظى بهذه الجائزة، رغم أنّ هذه الأخيرة تعتبر أكبر إقرار أدبي عالمي للأديب، فهي بمثابة شهادة عالمية، إلّا أنّ بعض النقاد يرون فيها إجحافا في

حقّ بعض الكّتاب، فقد اعترض بعض النّقاد الصينيين في الصحافة الأدبية قائلاً: « من بين آلاف الكّتاب الذين يضمّمهم الشّعب الصّيني الذي يبلغ عدد سكانه مليار نسمة، لم يحصل واحد منهم على جائزة نوبل ».

ورغم الجدل الكبير الذي دار حول المعايير التي تمنح بفضلها هذه الجائزة، فهناك من يرى أنّها خاضعة لاعتبارات سياسية، إلّا أنّ هذه الجائزة قد توسعت بتوسّع الكوكب الأدبي لكن رغم طرح مشكلة تحويل الجائزة لتصبح دولية، فإنّ شيئاً لم يتغيّر لفترة طويلة « وكان دخول غير الغربيين حتّى السنوات القليلة الماضية نادراً، وسار وفقاً لتاريخ توسع الكوكب الأدبي ».

لقد شهدت الخمسينيات من القرن العشرين لهاث الروائي العربي وراء أطروحته الفنّية طلباً لتركيب روائي يحمل ملامح الهوية العربية، وقد مثّلت روايات "نجيب محفوظ" (الثلاثية وأولاد حارتنا) قفّة هذه الأطروحة، إلّا أنّ هذا المد الرّوائي آل إلى طريق مسدود « فاخترقت الصّمت في الستينيات أصوات تدعوا إلى مجاوزة عقبة نجيب محفوظ أمام تطوّر الرواية العربية، وفهم التركييب الروائي العربي المطلوب بنقيض الاطروحة فكانت المحاولات التجديد والتقليد العربي المباشر تحديثاً لأدوات وأساليب وعناصر الخطاب الروائي العربي وانتشرت روايات على غرار تيار الوعي وتداخل الأجناس وتعدد الأصوات والنسبية في الزمن، والرواية الجديدة المضادة كلياً أو جزئياً صدى لوليام فوكنر، وألان روب غرييه وميشيل بوتور وسارتر وكامو وكولون ويلسون ولورانس وداريل وسواهم ».

إلّا أنّ اللاّفت للنّظر هو أنّه بعد أن كانت المسائل كلّها تدور حول الواقعية، أصبحت تدور حول الحداثة، أمّا الأصالة فيشار إليها لدى القلة القليلة من المبدعين، ومن هنا انبثقت المسائل الكبرى المتعلقة بفنّية الأدب العربي، أهمّها السّرد العربي وفن الرواية، ومسألة تحديث أدوات الخطاب الروائي وتقنياته، وآفاق الرواية العربية في الفضاء الثقافي العالمي، حيث « تنبع هذه المسائل جميعها من إشكالية ثقافية هي سبب ونتيجة من أسباب المثاقفة ونتائجها في الوقت نفسه، إذ يرهّن غالبية الباحثين والنّقاد العرب نشأة الأجناس الأدبية العربية وتطورها إلى تأثير الغرب، وقد ظهرت هذه الآراء حادّة لدى نقاد وباحثين كثيرين أفصحوا عن تعثرهم مع الهوية باسم

الحداثة والتحديث كما بان ذلك في الملتقى العربي الأوّل للإبداع العربي المعاصر هو توسل الحداثة ولتحديث بأي طريقة وبأي ثمن مطلوب».

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الروائيين العرب هُتوا وراء وهم الحداثة باعتبارها الجسر الأوحد للدّخول إلى العالمية، وهذا جعلهم يتناسون أهميّة الأشكال المحليّة في عملية الإبداع الأدبي، حيث يرى بعض النّقّاد « أنّ الروائيين الذين يسرفون في توظيف الخطاب العجائبي والجنسي والتهكم من قيم الأُمّة، إنّما يرومون من وراء ذلك رضا الآخر الغربي، معتقدين مخطئين، أنّ ذلك هو السبيل الأسرع والأُنفع والأُنجع للوصول إلى مجد العالمية...».

ونستحضر -في هذا المجال- ما قاله "غابرييل غارسيا ماركيز" في خطابه حين تسلم جائزة نوبل للآداب سنة (1982م): « من الّطبيعي أن يمعنوا في قياسنا بالمعايير ذاتها التي يقيسون بها أنفسهم، ولكن عندما نصوّر وفق نماذج لا تمت لنا بصلة، فإنّ ذلك لن يخدم إلّا غاية واحدة، هي أن نغدو مجهولين أكثر، وأقلّ حرّية وأشدّ عزلة»، ممّا يجعلنا نستنتج أنّ الكتابة وفق النمط الغربي ليس حلاً، وهذا مدعاة إلى أن نطرح السّؤال التالي: كيف يصل العمل الرّوائي إلى مصّاف العالمية؟

1.5. مقوّمات الارتقاء إلى مصاف العالمية:

إنّ الإجابة عن هذا السّؤال تقتضي القول: لقد بدأ الوعي العربي في السنوات الأخيرة بمسألة العالمية بصورة منهجية، فالعمل الأدبي لا يبلغ مرتبة العالمية لمجرد صفات إبداعية تتوفّر فيه؛ بل يحتاج ألن يُحقّق سلسلة الشّروط الذاتيّة واللّغوية وحتّى الإطارية كي يتبوّأ المكانة التي تؤهّله لها إمكانيّاته الذاتيّة، أين نجد الباحث "حسام الخطيب" يُعدّد مجموعة من المقوّمات لارتقاء أدب ما إلى العالمية وهي:

- الموقف الإنساني:

بمعنى أنّ المعيار الأساسي للعمل الجيّد هو إضاءة جوانب من موقف الإنسان في غمرة الصّراع

الاجتماعي والفردى أو القومى أو الإيدىولوجى أو المعرفى ضمن إطار التطلع المحترف لتوسيع معرفة الذات والآخريين وترقية المقدرة على السيطرة على الأشياء والطبيعة والكون، فلكى يكون العمل الأدبى محلّ اهتمام لا بدّ من أن يحتوى مادّة فكرية تطرح مشكلة أو تثير أسئلة أو تحلّل قضية إنسانية.

- اللون المحلى:

يُنظر اللون المحلى فى العمل الأدبى من خلال تلونه بالمحلية التى يتعلّق بها الكاتب، وتجلّى المحلية فى عدّة أمور منها: الشخصيات، المكان، السنن المحلية والقصص المحلية، وهذا لأنّ العمل الأدبى يحتاج إلى الجنسية والجنسية فيه، ولا بدّ لهذا الأخير أن يكون فى صميم الكلمات التى يقرأها المتلقّى.

- التفرد والابتكار والغربة:

أحيانا يحظى بشهرة فائقة بسبب ما فيه من لون نوعيٍّ مميّز جدًّا، قد يختلف اختلافا كبيرا عن روح المنطقة الأجنبية التى يشتهر فيها أو عن المناخ الأدبى السائد عالميا، ولكنّ هذا العامل لا يكفي وحده بالّطبع، فلا بدّ من أن يهتمّ المبدع بالبناء الجمالى، لأنّ إيحائية اللغة والشعرية شرط من الشّروط الفنّية لتفردّ العمل الأدبى وغرابته، فما يهمنّا فى عنصر التفرد والغربة هو البحث عن المي ازت البارزة التى تميّز الرواية وعلاقة الإبداع الأدبى بالفضاء الاجتماعى والعالمى.

لهذا شكّلت مرحلتا السبعينيات والثمانينيات نقطة تحوّل هامّة فى مسار تطوّر الرواية العربية وتشكيلها ممّا يؤدّي إلى رواية عربية تحفل بهويتها القومية، أين طرحت فى فلب هذا الصّراع دعوات إلى تركيب روائى عربى جديد يستفيد من التراث الغربى ويمضى بصيرورة التقاليد الأدبية إلى عناصر البقاء فيها، فن الهيمنة المطلقة للتقليد الغربى إلى نقد هذا المثل فى عملية وعى الذات والواقع فى شرطها التاريخى.

لذلك تمثّلت جهود الرّوائيين فى محاولة استعادة السّرد العربى فى تجربتهم الحداثيّة فى إطار عملية البحث عن الهوية فى الإبداع تمثّلت فيما يلى:

- استعادة الموروث السّردى الأدبي (إيميل حبيبي، المتشائل)
- استعادة الموروث الدّيني (محمود المسعودي، حدّث أبو هريرة قال)
- استعادة الموروث السردى التاريخي (جمال الدين الغيطاني، الزيني بركات)
- استعادة الموروث السردى الصوفي (جمعة اللامي، المقامة الامية)
- الموروث السّردى الفولكلوري (محمد شاهين، عودة شهرزاد)

خاتمة:

مّا لا شكّ فيه أو يختلف عليه اثنان هو أنّ هزيمة حزيران 1967م وضعت المبدعين العرب أمام تحوّل تاريخي شرعوا من خلاله في نقد ذاتي للمشروع المستقبلي العربي في مواجهة الغزو الثقافي الإمبريالي الأمريكي الصهيوني، باعتبارهما أخطر عدو يهدّد الوجود العربي. لكن هل هذا يعني أنّ المركزية الأوروبية قد تراجعت؟ وهل انتهى عهد الهيمنة والغزو الثقافي؟

وقد آن أن ننظر في أهمّ النتائج التي قادتنا إليها هاته الورقة البحثية فكانت من بينها:

1- لا يزال الجواب عن هذه الأسئلة بعيد المنال؛ لأنّ أسئلة التبعية والاستعلاء الثقافي لا تزال مطروحة، لكن المهم هو موقف الروائي العربي كما يعكسه إبداعه ووعيه الثقافي في مواجهة الهيمنة، في إطار تجربته المعاصرة الرامية إلى بناء رواية عربية لها كينونتها الخاصّة، تحمل ملامح الهوية العربية.

2- تحاول الرواية العربية الصمود في وجه المؤثرات المختلفة، إلّا أنّ الحداثة بهذا المعنى هي الأصالة، ومن العبث الركض وراء أوهام تحديث الشكل الروائي خارج تأصيل الرواية العربية، والمحلية هي طريق العالمية.

3- إنّ التحديّ الأكبر الذي تواجهه الرواية العربية اليوم هو السّعي إلى تحديث طرق الكتابة واللغة، وتوسيع آفاق التعبير في زمن شهد صعود الاستدمار التقليدي الغربي على جسد العالم، وأقلّ المشهد على تصاعد العولمة واحتكار التّحكّم بمسار تطوّر البشرية.

4- وهنا نتساءل مرّة أخيرة: هل المعايير التي نوقشت تسمح لنا أن نحكم على أدب ما أنّه عالمي

ونقصي آخر من دائرة العالمية؟ وعلى أيّ أساس يُمكن أن نقول: إنّ هذا الأدب عالمي والآخرون غير عالمي؟

* مقترحات يُمكن أن يتبناها القارئون على هذا المحفل العلمي كتوصيات:

- 1- شكر وتهنئة القائمين على تنظيم هذا المحفل العلمي المنظم بالمركز الجامعي "عبد الله مرسل" بتيبازة، معهد اللغة والأدب العربي، مخبر الممارسات الثقافية والتعليمية والتعلّمية في الجزائر، مديرا ونوابا وطاقما وأساتذة وطلبة.
- 2- تثنين جهود السادة الأساتذة الباحثين المشاركين بالأوراق البحثية العلمية من جامعات ومدارس الوطن.
- 3- نشر الأبحاث والمداخلات التي قدّمت خلال هذا اللقاء الثقافي في كتاب أو مجلة علمية محكمة؛ ليكون مرجعا للمهتمين بشؤون الرواية وقضايا الأمة.

قائمة مصادر ومراجع البحث:

أوال: المصادر

- 1- الطيب صالح: موسم الهجرة إلى الشمال، ط13، دار العودة، كورنيش المزرعة، بيروت، لبنان، 1981.
- ثانيا: المرجع العربية
- 1- سليم حيولة، الفكر المقارن الجديد، التحوّل نحو النقد الثقافي، تأليف مجموعة من الأكاديميين، إعداد: حياة أم السعد، تقديم: وحيد بن عزيز، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2018.
- 2- الطيب بن إبراهيم، مالك بن نبي وابن خلدون، مواقف وأفكار مشتركة، دار مدني، (د.ط)، (د.ت).
- 3- عبد الله أبو هيف، القصة العربية الحديثة والغرب، "دراسة"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق، سوريا، 1994.
- 4- محمد نورالدين أفية، الهوية والاختلاف في المرأة، الكتابة والهامش، إفريقيا والشرق، الإيداع القانوني: 882/82.

5- مديحة عتيق، فصول في الأدب المقارن، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2011.

6- ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، لبنان، 2005.

ثالثا: المراجع المترجمة

1- باسكال كازانوف، الجمهورية العالمية للآداب، تر: أمل الصبان، تقديم: محمد أبو العطاء، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، 2002.

2- دانيال هنري باجو، الأدب العام والمقارن، تر: غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، (د.ت).

3- هومي بابا، موقع الثقافة، تر: ثائر ديب، المركز الثقافي العربي، (د.ط)، (د.ت).

رابعا: المقالات المنشورة في المجلات العلمية

1- كاوة خضري، مقومات العالمية الأدبية في رواية "الشحاذ" لنجيب محفوظ، مجلة إضاءات نقدية، (قضايا محكمة)، السنة 7، ع28، 2017.

2- محمد مصطفى القباج، حوار الثقافات وحقوق الإنسان في زمن العولمة، المعرفة للجميع، سلسلة شهرية، منشورات رمسيس، ع30، الإيداع القانوني: 1998/162، كدال، الرباط، المغرب.

خامسا: المذكرات والرسائل الجامعية

1- فضيلة مادي، دور عالمية الأدب ومذاهبه في تطور الأدب وظهور أجناسه الأدبية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، المركز الجامعي، العقيد أكلي محمد أولحاج، جامعة البويرة، الجزائر، 2012/2011.

الهوامش:

1 - الطيّب بن إبراهيم، مالك بن نبي وابن خلدون، مواقف وأفكار مشتركة، دار مدني، ص 81 وما بعدها.

2 - ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، لبنان، 2005، ص 186.

3 - المرجع نفسه، ص 116.

4 - دانيال هنري باجو، الأدب العام والمقارن، ترجمة: غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ص 29.

5 - ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ص ص 116-117.

6 - المرجع نفسه، ص 118.

- 7 - فضيلة مادي، دور علمية الأدب ومذاهبه في تطوّر الأدب وظهور أجناسه الأدبية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، المركز الجامعي، العقيد أكلي محمد أولحاج، جامعة البويرة، الجزائر، 2011/2012، ص ص 31-32.
- 8 - مديحة عتيق، فصول في الأدب المقارن، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2011، ص 73.
- 9 - سليم حيولة، الفكر المقارن الجديد، التحول نحو النقد الثقافي، تأليف مجموعة من الأكاديميين، إعداد: حياة أم السعد، تقديم: وحيد بن بوغريز، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر، 2018، ص 14.
- 10 - ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ص 121.
- 11 - هومي بابا، موقع الثقافة، ترجمة: نادر ديب، المركز الثقافي العربي، ص 56.
- 12 - محمد نورالدين أفاية، الهوية والاختلاف/في المرأة، الكتابة والهامش/إفريقيا والشرق/الإيداع القانوني 82/882، ص 23.
- 13 - الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، ط13، دار العودة، كورنيش المزرعة، بيروت، لبنان، 1981، ص 45.
- 14 - المصدر نفسه، ص 50.
- 15 - محمد مصطفى القباج، حوار الثقافات وحقوق الإنسان في زمن العولمة، المعرفة للجميع، سلسلة شهرية، منشورات رمسيس، ع30، الإيداع القانوني: 1998/162، كدال، الرباط، المغرب، ص 30.
- 16 - باسكال كازانوف، الجمهورية العالمية للآداب، ترجمة: أمل الصبان، تقديم: محمد أب والعطاء، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، 2002، ص 175.
- 17 - المرجع نفسه، ص 178.
- 18 - عبد الله أبو هيف، القصة العربية الحديثة والغرب، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق، سوريا، 1994، ص 192.
- 19 - المرجع نفسه، ص 190.
- 20 - لحسن كرومي، التعدّد اللغوي في رواية سننونات كابول لياسمين خضراء، بأعمال اليوم الدراسي، الرواية بين ضفتي المتوسط، المجلس الأعلى للغة العربية، 2010/05/11، الجزائر، ص 53.
- 21 - المرجع نفسه، ص 59.
- 22 - عبد الله أبو هيف، القصة العربية الحديثة والغرب، ص 200.
- 23 - ينظر: كاوة خضري، مقومات العالمية الأدبية في رواية الشّحاذ لنجيب محفوظ، مجلّة إضاءات نقدية (قضايا محكمة)، السنة 7، ع28، 2017، ص 141، 140، 142.